المحاضرة الخامسة: اللغة الشعرية في النص الشعري المعاصر

تمهيد:

لقد شكل الشعر منذ القدم أحد أبرز الوسائل التعبيرية التي اعتمدها الإنسان للتعبير عن مشاعره وأفكاره وتجربته في الحياة. ومع مرور الزمن، تطور الشعر وتغيرت أشكاله ومضامينه، ليعكس التحولات الاجتماعية والثقافية والفكرية في المجتمعات المختلفة. وفي هذا السياق، برز النص الشعري المعاصر كصيغة إبداعية تعكس تجارب الشاعر الفردية والجماعية بأساليب جديدة تتجاوز القيود التقليدية للقصيدة الكلاسيكية من حيث الوزن والقافية والبنية اللغوية.

وتكتسب اللغة الشعرية في هذا النص أهمية بالغة، فهي ليست مجرد وسيلة لنقل المعنى، بل أداة جمالية وفكرية تعبر عن رؤية الشاعر وتستنهض خيال القارئ. فاللغة في الشعر المعاصر تتسم بالمرونة والتجريب، وتوظف الرمزية والإيحاء، لتفتح المجال أمام القراءات المتعددة والتأويلات المختلفة. كما أنها تعكس التفاعل بين العاطفة والفكر، وبين الشخصي والكوني، في محاولة للارتقاء بالنص الشعري إلى مستوى التجربة الإنسانية الشاملة.

مفهوم اللغة الشعرية:

لغة الشعر أو اللغة الشعرية عند جون كوين Cohen Jean هي: الانزياح عن لغة النثر باعتبار أن لغة النثر عنده توصف بأنها لغة الصفر في الكتابة ، والانزياح عنها يعد دخولا في اللغة الشعرية التي تعني: "كل ما ليس شائعا ولا عاديا ولا مصوغا في قوالب مستهلكة وهكذا فالشعر يعتبر خروجا عن اللغة العادية أو المعيارية، فهو يهدمها ليعيد بناءها من جديد. أي أن الشعر نشاط لغوي"، ينهض على إعادة النظر في النظام اللغوي، والإمساك بما يتضمنه من قوانين توليدية تسمح بتمزيق ذلك النظام اللغوي المتعارف نفسه قصد خلق ذرى تعبيرية جديدة فالألفاظ مثلا في لغة النثر تتطابق دلالاتها ولا تقبل تأويلا ما؛ بينما العكس في لغة الشعر التي تحلق دلالاتها بعيدا عن المعنى الأول للسياق. ولهذا فالشعر ليس هو النثر مضافا إليه شيء ما، ولكنه هو المضاد للنثر. وبالتالي فشعرية اللغة هي تلك الشعرية التي تتفجر

من تمرد النثر ومشاكسته المألوف من طبائعه واتكائه على تلك الخصائص المجرة التي تصنع فرادة العمل الأدبي أو ما الذي يجعل من رسالة لفظية أثرا فنيا.

أما أدونيس فقد تعرض للفرق بين اللغة الشعرية واللغة غير الشعرية، من حيث الإشارة والإيضاح؛ فاللغة العادية واضحة لا تتجاوز المعنى المعجمي وإنما اللغة الشعرية هي الخروج عن هذا المعنى الواضح والمعلوم إلى معاني أخرى لم تتعود الغوص فيه وهذا في قوله: "إذا كان الشعر تجاوزا للظواهر ومواجهة للحقيقة الباطنة في شيء ما أو في العالم كله، فإن على اللغة أن تحيد عن معناها العادي، ذلك أن المعنى الذي تتخذه عادة لا يقود إلى رؤية أليفة، مشتركة. إن لغة الشعر هي لغة الإشارة، في حين أن اللغة العادية هي لغة الإيضاح. فالشعر هو بمعنى ما، جعل اللغة تقول ما لم تتعلم أن تقوله.

مما تقدم لنا نستنتج أن التركيز في التجربة الشعرية على اللغة، وخصائصها بوصفها مادة بنائيه. وباعتبار أن اللغة الشعرية ظاهرة أسلوبية، فأسلوب الصياغة الذي يستخدمه الشاعر هو التجربة، وهو لغة الشعر، والمقصود بالأسلوب هنا جملة الوسائل المستعملة من قبل الشاعر من ألفاظ، وصور، وخيال، وعاطفة، وموسيقى والتي بتضافرها وتكاملها تكون لنا نسيجا شعريا. ولهذا فالتعريف العام للغة الشعرية هي كلية العمل الشعري أو النسيج الشعري بما يشتمل عليه من مفردات لغوية وصور شعرية ومن موسيقى أو هي مكونات العمل الشعري من ألفاظ وصور وخيال وعاطفة ومن موسيقى.

1:2خصائص اللغة الشعرية:

الاختلاف والمفارقة : و يتجلى الاختلاف في رصد العلاقات المتباينة في الخطاب و جعل الألفة بينها، و يتضمن هذا الاختلاف البعد عن التقليد و الرتابة، فيقوم الشعر بتنظيم الألفاظ و تنسيقها بطرائق تبعث على الدهشة و الافتتان، لما تحدثه من مفارقة و انزياح، و بما تتضمنه من انفعالات و مشاعر تدفع بالقارئ إلى الاحتماء بألفتها و مجازيتها، ذلك أن للغة الشعر القدرة على الإيحاء بما لا تستطيع اللغة العادية[8] ، و المفارقة في أكثر أحيانها تقوم على عبارة تبدو في ظاهرها متناقضة، تحمل كثيرا من التناقض اللا مألوف في الكلام، غير أن المتلقي حين يدقق النظر في هذه العبارة المتناقضة في ظاهرها يستطيع الوصول إلى بعض ملامح التوافق بين أطراف تلك العبارة، وتظهر تلك العبارة بعد أن كانت تشير بالتناقض أنها ذات حظ لا بأس به من الحقيقة [9] . وباختصار من الممكن ان نقول إن المفارقة هي الخروج عن نمطية اللغة، وتكون تعبيرا مفاجئا للقارئ عما هو متوقع في ذهنه، لانه تعبير مغاير لما هو عليه الحال في الواقع، ويكون فيها نوعا من التمرد على القيود و القواعد اللغوية و التراكيب الجاهزة، و اللجوء إلى أشكال الانزياح، حيث تكتسب اللغة حلة جديدة بما تحققه من دلالات[10]

الإيحائية: الايحائية أو المعنى الهامشي وهو المعنى الإضافي الذي توحيه الكلمة من خلال السياق وتأتي هذه المعاني الهامشية بسبب الاستعمال على مستوى فردي، كأن يكون الفرد موهوبا فيرى في الكلمة معنى هامشيا بعيدا ويجعله مقصودا بالدلالة)[11] فهي تعبر عن الوجدان ،و تسعى إلى الكشف عن معان جديدة، و تتحقق الإيحائية في الابتعاد عن الدلالات المعجمية الأصلية للكلمة كما يحددها المعجم ، ذلك أن لغة الشعر تتميز بالتداعي الوجداني؛ فاللغة الشعرية تتضمن معارف وجدانية و ليست معارف ذهنية وفكرية،و هي - بهذه التجليات - تفتح آفاقا واسعة و تستثمرها في صور ذاتية وجدانية، فالإيحاء ينقل النص من صيغة التقريرية إلى أفق الشاعرية، و يفتح مجالا أوسع وأرحب لاستنطاق الجوانب الخفية للإبداع، و الأبعاد الجمالية للنتاج

الأدبي[12]. وجدير بالذكر أن لدلالتي المطابقة و الايحاء نفس المرجع ولا يوجد تعارض بينهما الا على المستوى النفسي .فدلالة المطابقة تشير الى الاستجابة العقلية ودلالة الايحاء تشير الى الاستجابة العاطفية مصاغتين في عبارتين مختلفتين عن نفس الشيء[13]

· الارتباط: تكتسي اللغة طابعا اجتماعيا، فهي أداة التواصل و نقل الأفكار، و تعود خصوصيتها في ارتباطها بالشعر، فاللغة - عند الشاعر - تصبح لغة شعرية عندما تخضع للتجربة، و يتحقق فيها الإيحاء و الاختلاف و البعد عن التقريرية و التقليد [14]

· الإيقاع :إن مفهوم الإيقاع يظهر من خلال إرتباطه بالشعر، فالإيقاع يدخل في مفهوم الشعر عند الإنسانية جمعاء، ويعتبر الإيقاع في القصيدة هو العنصر الذي يميز الشعر عن سواه ، فيمثل النسيج الإيقاعي عنصرا رئيسا في الشعر،و قد عده القدماء من أهم أركانه، ويعتمد هذا العنصر المهم على الوزن الخارجي والداخلي من بين ما يعتمد عليه [15]. فيشكل الإيقاع صوت الشاعر و يعبر عن أفكاره و وجدانه و مواقفه، فيستدعي ذلك استخدام البحور الطويلة أو القصيرة حسب الحالة النفسي)[16].

· التصوير :هي سمة الشعر الحديث ، فمن خلالها يستطيع الشاعر تجسيد أفكاره وأحاسيسه في قالب تعبيري قادر على استيعاب المتلقي وصهره في صميم التجربة الانفعالية، والصورة الشعريةعبارة عن مجموعة من الكنايات والاستعارات والتشبيهات، فيكون الشاعر بها أبعادا جمالية ، تشد القارئ إليها و تثير فيه دوافع القراءة الجديدة للربط بين الصور أو إيجاد مسوغات في كيفية ترابط هذه الصور، أو في العلاقات الناتجة عن دلالات الترابط بين الوجدان و المواقف من جهة، و طرق تقديم الصور من جهة أخرى [17]، ويرى كوليردج وهو من الرومانسيين، أن الصورة لم تعد منحصرة في الأشكال البيانية أو الزخرفة التي تجعل من النص الشعري نصا جميلا ، أو في الألفاظ من حيث هي أدلة ومعان، إضافة إلى الشاعر وانفعالاته، فالصورة تنتج بعد مزجها بعواطف وأحاسيس الشاعر وتجربته في الحياة، فهو لا ينكر تلك الأشكال البيانية للصورة وإنما يضيف لها تجربة وعاطفة الشاعر، فالصورة نتاج لتفاعل الأشكال البيانية بالتجربة الشخصية والتي يدعمها الخيال الذي يعد مهما وأساسا في نتاج الصورة الشعرية الابداعية).[18]

خصوصية التركيب :اللغة الشعرية لغة انزياحية، تخرج الألفاظ من معانيها المعجمية، و تبعث فيها دلالات خاصة تمنح الكلام سمة التميز، فيتسم التركيب في الشعر بالصياغة المخصوصة، والإيقاع الموسيقي، والانتظام في الألفاظ و التآلف في الأصوات والدلالات[19]

الموكبة والتجدد: ان لغة الشعر قادرة علي الخروج عن القوالب التقليدية، وهذا يجعلها اكثر تناسبا مع لغة العصر.

-أشكال التجديد اللغوي:

إن الشاعر المعاصر يشعر بتجربته شعورا مختلفا، ومن هنا فإن عناصر أدائه التعبير ي تعتمد على نسق معقد في استخدام معجم شعري يتولى مهمة تجسيد هذا الإحساس، ودفع المتلقي كي يتوحد معه في همومه الذاتية التي هي جزء من هموم الإنسان في معاناته، وتعدد مظاهرها. ومن هنا جاوز الأداء التعبيري النزعة الغنائية، وتعدى الخطابية والزخرفة اللفظية، ليحلق في آفاق أرحب للغة، خاصة وأنها الأداة التي يمسك بها الشاعر ليحطم بنية الحياة الشعرية الماضية

ولهذا عني رواد قصيدة التفعيلة باللغة وركزوا على تطويعها لتؤدي غايات تبليغ وتشخيص تجاربهم في منتهى النضج والجدة، فاختاروا أن يخلصوها من النبرة العالية ومن تعميمية الأداء وتعاقبية التركيب المألوف. فأدخل الشاعر العربي المعاصر في الشعر كثيرا من الأساليب اللغوية الجديدة التي لم يعرفها هذا الشعر من قبل، وكان كثير من هذه الأساليب حاملا لدلالات ثرية ساهمت في تعميق التجربة الشعرية، لعل أهمها ما يأتي :

أ- **أسلوب التكرار**: يؤدي التكرار رسالة دلالية غير صريحة، رسالة لا تحملها الأبيات مباشرة ولا تؤدها مفردة بعينها، فالتكرار يقوم بدوره الدلالي عبر التراكم الكمي للكلمة أو للجملة أو للحرف، وقد حملت وعبر الإلحاح إلى هذا الموضع أو ذاك ينبه المتلقي إلى غاية دلالية أرادها الشاعر .القصائد المعاصرة كثيرا من مواقع التكرار التي عبرت عن اهتمامات الشعراء ورؤاهم الشعرية. يقول أمل دنقل:

لترفعوا عيونكم إلي

وإن رأيتم طفلي الذي تركته على ذراعها بلا ذراع

فعلموه الانحناء علموه الانحناء.

يكرر الشاعر الجملة الأخيرة خمس مرات في القصيدة ليعبر عن يأسه من جدوى الثورات، والتمرد، والرفض، وقبح ما يدفعه الثائر في سبيل التحرر، كما أن تكرار الشاعر لهذه الجملة فيه إدانة للمجتمع العربي السلبي المتخفي من مواجهة الظلم والطغيان.

ب- **أسلوب السخرية:** هو أسلوب من الأساليب اللغوية الشائعة أيضا في قصيدة التفعيلة يعبر الشاعر من خلاله عن رؤيته وموقفه من قضايا المجتمع والوجود الإنساني، أو هو لون من ألوان النقد والإدانة لمن يظنđ م الشاعر المسؤولية عن خلل ما أو فساد أو نقص في الحياة الإنسانية، ومن موضوعاته أيضا السخرية من رموز الحكم وطبيعة الحكم في المجتمع العربي، وسلبية الإنسان العربي وتراجعه وتخلفه عن ركب الحضارة، وبشكل عام الوضعية الراهنة للمجتمع العربي. يسخر صلاح عبد الصبور من ضعف ذوي السلطة إزاء رغباتهم التي تشغلهم في الغالب عن الحكم والرعية، فيقول:

ومات أبي والدموع تسيل على وجنتيه

وفي كفة مزقة من رداء حرير

وتدحرجت الأبيات ألوفا تبكي الملك الطاهر

حتى في نومه.

تتجاوز سخرية الشاعر السلطة الحاكمة إلى المستفيدين منهم والمداهنين والمنافقين ممن يبدون ولاءهم حتى بعد الموت .

ج- **أسلوب التناص:** يعد ظاهرة لغوية أساسية تجاوز بها الشاعر العربي المعاصر العلاقة المحدودة بالنص المغاير من خلاله، والذي يتطلب منه الاستناد إلى ثقافة حقيقية وامتلاك رؤية شعرية ناضجة واضحة، والقدرة على استغلال سياقات النص المستدعي وتوظيفها

كأبعاد دلالية في النص الأصلي، كما يخول للشاعر أن يقيم علاقة جدلية تفاعلية مع النص الآخر؛ والذي يشمل محاور ثلاثة متمثلة في "النصوص الدينية والتراث الأدبي العربي والثقافة الغربية". كاستفادة الشاعرة "زكية مال الله" من القرآن الكريم في ديوانها "على شفا حفرة من البوح"، تقول في قصيدة "تشكيل":

عرش فوق منامك

رؤيا لامرأة تمتلك الهدهد

تتشكل في خزف الأزهار

استنت لشآمك بدرا

ولبابل بابا

تأتيك بها لم تبصر

حتى يرتد إليك الطرف

تناص مثالي مع القرآن الكريم وبالتحديد مع قصة سيدنا سليمان –عليه السلام– مع الهدهد والجن، وهو تناص يستفيد من الموروث برؤية عصرية في كل أبعادها.

د– **أسلوب التنقيط:** يعبر أسلوب التنقيط عن وعي الشاعر العربي المعاصر بمحدودية الحروف والكلمات في التعبير عن تجربته، ولقد أفاد فيه الشاعر المعاصر من اطلاعه على طرق الكتابة الشعرية الغربية مدفوعا باتساع تجربته الحياتية وخبراته النفسية وتعقد رؤاه الشعرية. ومن مواضع التنقيط في الشعر المعاصر، قول أدونيس في إحدى قصائده من ديوان "هذا هو اسمي:

أشلاؤه تسأله:

ليس من ينطق إلا

شرط الحجاج

هل أعطيك حلما .....!

إن المتلقي يقف على مجموعة من النقاط إذا أحصاها وقف على عبارة "اعطيني حلما"، وهذا فإن التنقيط يدل على رغبة الشاعر وإخفاء هذه الرغبة عندما تعلق الحديث بالقهر الممارس على الحجاج.

هـ- أسلوب الحذف: عبر الشاعر العربي المعاصر من خلال هذا الأسلوب عن دلالة الاقتطاع والضياع والنقص في الواقع، واستثمر قدرته على تصوير هذه الدلالات الخاصة . يضاف إلى هذا مجموعة من الظواهر اللغوية التي وجد فيها الشاعر المعاصر متنفسا جديدا لإثراء تجربته الشعرية، كأسلوب المفارقة، والتسوية، وتراسل الحواس، والانزياح وغيرها من الأساليب اللغوية الجديدة التي تخدم التجربة الجديدة. ولا تكاد تخلو قصيدة حديثة من استخدام هذا الأسلوب كقول إبر اهيم أبو سنة في قصيدته "أغنية حب:"

أفيقي، فمازال يمكن ألا تكوني وساما وقبرا

ومازال يمكن أن يتوقف هذا النزيف

ويبقى جمالك عصرا... وعصرا

ومازال يمكن... مازال يمكن... مازال يمكن... ما...

أفيقي... أحبك

أحس الشاعر بقصور الكلمات والألفاظ على الإحاطة بما يمكن لمصر أن تكونه فلجأ إلى أسلوب الحذف والإضمار، حيث حذف فاعل الفعل "يمكن" بعد أن صرح به مرتين من قبل، ويضاعف هذا الحذف أكثر من مرة ليضاعف الايحاء بكثرة الامكانات وعدم تناهيها.

الخاتمة:

أدرك الشعراء قصيدة المعاصرون أن الكشف عن الجوانب الجديدة في الحياة يستتبع بالضرورة الكشف عن لغة جديدة فليس من المعقول أن تعبر اللغة القديمة عن تجربة جديدة، فليست اللغة وسيلة تعبير فحسب، وإنما هي طريقة تفكير والكلمة الشعرية ليست مجرد صوت له دلالة وإنما هي وجود وحضور كيان وجسد، لأن لغة الشعر ليست لغة تعبير بقدر ما هي لغة خلق.